الفصل الثاني

المتكلمون ومذهبهم في إثبات العقيدة

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف علم الكلام والمتكلمين وسبب التسمية.

المبحث الثاني : نشأة علم الكلام.

المبحث الثالث : منهج المتكلمين في إثبات العقيدة.

المبحث الأول

تعريف علم الكلام والمتكلمين وسبب التسمية

أولاً: تعريف علم الكلام

علم الكلام هو: علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبة[١].

وقال بعضهم هو: علم يتضمن الاحتجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية[٢].

والمقصود بالأدلة العقلية: هي الأقيسة والأصول الفلسفية المجملة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وإنما عمدة الكلام عندهم ومعظمه تلك القضايا التي يسمونها العقليات وهي أصول دينهم وقد بَنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة»[٣].

ومقصدهم من هذا العلم المذموم أن يردوا على الفلاسفة لكن وقعوا في بدعة عظيمة فكانوا كما قال سيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

---

(١) انظر الموافق في علم الكلام.

(٢) مقدمة ابن خلدون التاريخية (١ / ٣٢١).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢ /٧).

«لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا»[١].

ثانياً: تعريف المتكلمين

المتكلمون هم: الفرق والطوائف التي ارتضت علم الكلام وقواعد الفلسفة منهجاً لها في الاستدلال على مسائل الاعتقاد. بل كل من ارتضى الأصول الكلامية سواء ممن انتسب إلى الفرق الكلامية أو غيرها صح أن يطلق عليه أنه متكلم[٢].

ثالثاً: سبب التسمية بعلم الكلام[٣]:

اختلفت الآراء حول سبب التسمية بعلم الكلام أشهرها ما يلي:

١) أنه سمي بعلم الكلام لأن مسألة الكلام كانت أشهر المباحث التي وقع فيها نزاع وجدال بين المتكلمين، والمقصود بمسألة الكلام هي: مسألة خلق القرآن التي تبنتها المعتزلة ونفوا صفة الكلام لله. وأكثروا فيها القيل والقال.

٢) وقيل لأن الكلام والمجادلة والقيل والقال قد كُثر وأصبح سمة أهله.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ٣٣).

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام: (٢ /٧).

(٣) انظر: منهج السلف والمتكلمين: د/ جابر إدريس (١ / ٥٧).

٣) وقيل لأن العادة جرت عند المتكلمين الباحثين في الأصول أن يعنونوا لأبحاثهم بـ (الكلام في كذا).. الخ

وهناك أقوال أخرى في المسألة ولكن هذه أشهرها.

المبحث الثاني

نشأة علم الكلام ومصادره

لم يكن المسلمون يعرفون هذا العلم في القرون الأولى حتى دخل عليهم هذا العلم الجديد نتيجة لترجمة كتب الفلاسفة واليونانيين على يد المعتزلة، وهناك عدة أقوال في نشأة علم الكلام أشهرها:

أن علم الكلام نشأ في عهد الخليفة المأمون هارون الرشيد الذي كان شغوفاً بحب الاطلاع فقام بتعريب كتب الأوائل من الفلاسفة وغيرهم.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المأمون عرّب كتب أهل الضَلال من الفلاسفة والصابئة وغيرهم[١]. وكذلك ذكره العلامُة ابن القيم ـ رحمه الله ـ[٢].

وقد كان المأمون يعطي العطايا والهبات إلى من يقوم بترجمة كتاب من كتب الفلاسفة[٣].

---

(١) انظر نقض المنطق: (١٩).

(٢) انظر الصواعق المرسلة: (٢ / ٧١٦).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء: (١٠ / ٢٧٢).

ومن هنا تبين لنا أن مصادر علم الكلام هو كتب الفلاسفة اليونانيين وغيرهم التي تُرجِمت في عهد المأمون، والتي كانت محظورةً حتى على النصارى حتى مع فساد عقائدهم، وإذا علم نشأة هذا العلم ومصدره كيف يتوقع من علم كهذا أن يدافع عن العقيدة الإسلامية الصافية؟ بل النتيجة هي فساد عقائد الناس واختلافهم وتفرقهم كما هو حال الفرق الكلامية التي اعتمدته في مصادرها. **ونجّى الله أهل السنة والجماعة من آثاره بسبب اعتصامهم بالكتاب والسنة.**

المبحث الثالث

منهج المتكلمين في إثبات العقيدة

يعتمد المتكلمون في إثبات العقيدة على العقل دون النقل ويجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ويجعلون القرآن والإيمان تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن[1]. وبسبب اعتمادهم على هذا الأصل أصبح بعضهم يتجرأ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ويتكلم بكلام يؤدي بصاحبه إلى التهلُكة فهذا عمرو بن عبيد المعتزلي يذكر حديثا النبي ﷺ ويقول: «لو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا»[2].

وهذا قمة العناد في طرح النصوص الشرعية إذا خالفت عقولهم وأقوالهم. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

من أجل هذا المنهج فإنهم يتحكمون في نصوص الوحي بعقولهم، فما وافق عقولهم أثبتوه وما خالفها نفوه، ومن هنا

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٣ / ٣٣٨).
(٢) سير أعلام النبلاء: (٦ / ١٠٤).

أتوا بأقوال في مسائل الاعتقاد وخالفوا فيها إجماع السلف وحرفوا بسببها نصوص الوحي الكريم وضعفوا الأحاديث التي لا توافق عقولهم بحجة أنها أخبار آحاد أو منسوخة أو نحو ذلك من الأقوال.